



أما قبل... .

د. هلال الحجري

لا يمكن عزل التجربة الصوفية العمانية عن التجربة الصوفية الإسلامية المشهورة بنماذجها العليا -التمثلة في الحلاج والبسطامي والسهورودي وابن عربي... وغيرهم من أقطاب التصوف الإسلامي- لا يمكن عزلها ولا إقصاؤها، أو تهميشها في ركن قصي من أركان التصوف، وهو «السلوك».

... إن الأقطاب الأربعة للتصوف العماني المعروفين -وهم: السيد الرئيس جاعد بن خميس الخروصي، وابنه الشيخ ناصر ابن أبي نيهان، والمحقق سعيد بن خلفان الخليبي، والشاعر العظيم أبو مسلم البهلاني- جميعهم لم يصرحوا بهذا الصبر الذي وضعهم فيه المناصرون للسلوك والمحاربون للتصوف. ومن يتصفح دواوين الشعر الصوفي العماني لا يجد هؤلاء الأقطاب -قدس الله سرهم- يتورعون عن ذكر التصوف والتصوفة؛ فهذا المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليبي يمتدح المتصوفة ويجعلهم في مصاف الراسخين في الشرع:

((قم هات لي من بحر علمك ججة...))

تهدي الهدى إن لم تكن متكلفه

من نور عقل أو قياس تفلسف...))

أو راسخ في الشرع أو متصوفه

إني لذو عقل ربيط ثاقب...))

متذرب بشرية و بفسفته...))

ويمتدح طريقة أهل التصوف في معرفة الخالق... قائلا:

((بالذوق أهل الشوق تعرفه فذوق...))

واشرب وألا فاسأل المتصوفة...))

فالمحقق الخليبي في هذه الأبيات، يدحض الفكرة القائلة بأن الإباضية يؤثران السلوك على التصوف؛ فالتصوف الفلسفي هو ما يؤثره الشيخ كما هو جلي من ربطه في الأبيات بين الفلسفة والتصوف. ونجد الشاعر الكبير أبا مسلم البهلاني لا يخرج عن منهج أستاذه الخليبي؛ فنراه أيضا يمتدح التصوف، ويراه طريق الحق والاستقامة، كما في هذا البيت:

((وإذا نزعنا إلى الهدى عن غيره...))

فلاستقامة نزعنا المتصوفة...))

هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى، نجد أن بعض أقطاب التصوف العماني يوالون أقطاب التصوف الإسلامي بتقديس أرواحهم والدعاء لهم. فهذا المحقق الخليبي -رحمه الله- في شرحه لبعض الأبيات من «خميرية»، عمر بن الفارض، نراه يترجم على الشاعر في مستهل شرحه لأبياته قائلا: «ومن قصيدة للشيخ عمر بن الفارض رحمه الله». ونجده في نفس الشرح يستشهد ببيت لإمام أهل الخرقة والتصوف، أبي القاسم الجنيد... قائلا: «كما قال الجنيد قدس الله روحه ونفعنا به».

ويضاف إلى هذا: أن التجربة الصوفية العمانية تتقاطع مع رصيفتها الصوفية الإسلامية في أمور عدة: منها -على سبيل المثال- اللغة، والمعاني، والرموز، وأساليب الشطح المعروفة؛ فالعجم اللغوي في الشعر العماني يفيض بألفاظ صوفية بحتة مثل الجأس، والشراب، والخمرة، والذن، والسكر، والطريقة، والأوتار، والحب، والنشر، والطني، والمغني... إلى غير ذلك من المصطلحات التي يختص بها المعجم الصوفي.

... إن تجربة التصوف العماني تجربة ثرية بمضامين فلسفية عميقة، ولا يمكن القفز عليها بالنوايا الحسنة وتهميشها على أنها مجرد سلوك قوامه الزهد في الدنيا وتلاوة الأوراد أثناء الليل وأطراف النهار. أعتقد بأننا بهذه الطريقة نفقرها، لا نعيها، ونظلمها، لا ننصفها. وقد أن للدراسات العلمية الجادة أن تشرع في سبر أغوار هذه التجربة متسلحة بالمقارنة والتحليل والمقايسة، ومتجردة من العواطف البلهاء ونبرة السجال المذهبي الذي لا يسمن ولا يفني من جوع!

◀ «الهوية» وسراب الإسلاميين

◀ المدينة الدائرية؛ أسرار نشوئها وفلسفة معمارها.. واختفاؤها

◀ نحو بعث آخر للتعددية في الإسلام

◀ بين النبوة والعقل.. هل يُجمع بين النقيضين؟

◀ أسبقية الإسلام لتقرير حقوق الإنسان

◀ الاستشراق.. الحاجة والمعوقات

◀ الأنا والآخر والمعرفة

◀ السبيل إلى فاعلية الدراسة المصطلحية

◀ هوية الدولة وصراع المنظرين

◀ الحضارة.. اللذة التي يبحث عنها العرب

◀ العلاقة بين الدين والدولة